تفتقر إلى النظافة وانعدام المنشآت السياحية:

مدينةُ الشّرق.. مقصد سياحي يجذب المسافرين عبر الجبال الغربية لليمن..

من أي الطّرق أتيتها تجدها ماثلةً للعيان،ومن أي السّبُل يمّمتَ وجهكَ تكون هي نقطة العبور،لأنّها وحدها فقط الطريق الأكثر ارتياداً من قبل الكثير من أبناء المناطق الوسطى وسلسلة الجبال الغربية في وسط هضبة اليمن.. إنّها مدينة الشّرق التي طالما دوى اسمُها في الآذان وبلغَتْ شهرتُها الآفاق،وطالما عبرها المسافرون وقصدَها المتسوقون والسياح وكانت وجهةً لكثيرٍ من أبناء المناطق الوسطى في سلسلة الجبال الغربية حيث محميّة عتمة ووصاب العالي ووصاب السافل ومديرية القفر وبلاد آنس وعنس الغربية ومعظم مناطق ريمة وبالذات الشرقية وساكني وادي رماع الشهير.. فكل تلك المناطق تقصد مدينة الشرق لأكثر من سبب على رأسها التسوق أو التنقّل عبرها إلى مناطق أُخرى.

استطلاع وتصوير/فايز محيي الدين البخاري

■ فأبناء وصاب وعُتمة والقفر وريمة يقصدونها وهم مسافرون إلى صنعاء أو الحديدة في الذهاب والإياب،وأهالي آنس وجبل الشرق والمنار ومغرب عنس يقصدونها للتسوّق في الغالب وحين يريدون الذهاب جهة الحديدة أو محافظة إب وتعز عبر مديرية القفر إلى منطقة السحول..وأبناء الحديدة وباجل بالذات الذين يرتبطون بها بخط إسفلتي يعتبرونها محجّتهم ومقصدهم وهم في طريقهم إلى ذمار أو إب أو الضالع أو البيضاء ومختلف المناطق الوسطى،باعتبار الخط الذي يمر بها هو الأقرب من بين كل الخطوط التي تؤدي إلى تلك المناطق ويربط المناطق الوسطى بسهل تهامة والمناطق الساحلية الغربية.

لذلك فمدينة الشرق لا يقر لها قرار ولا تهدأ الحركة فيها ليلاً أو نهاراً،حيث وقد أضحتْ طريقاً تجاريّاً هاماً،وهذا بحد ذاته روّجَ لها كثيراً في مجال السياحة وجعلها مقصداً للكثير من السيّاح الذين يتقاطرون عليها مِن كل مكان،وبالذات السياح اليمنيين.

مدينة العبيد

■ ولعلّ أشهر الأسماء التي سُمّيَتْ بها مدينة الشرق ولا تزال متداولة حتى اليوم خاصة لدى كبار السن هي (مدينة العبيد) وقد لاحظتُ ذلك بنفسي عند أوّل زيارة لي لهذه المدينة عبر الخط الذي يصلها بمديرية عتمة من محافظة ذمار ومديرتي القفر والمخادر من محافظة إب،وكنتُ قد أزمعتُ زيارتها من خلال هذا الخط الذي يبدأ من منطقة الدليل بمديرية المخادر أسفل نقيل سمارة حيث توجد فرزة للسيارات والباصات التي تقل المسافرين من الدليل في إب إلى عتمة ومدينة الشرق ومِن ثمّ إلى باجل في الحديدة أو صنعاء عبر مدينة معبر ونقيل بني سلامة في آنس أو إلى جبال ريمة ووصابين.

المهم أني أثناء مروري من القفر وعتمة قادماً من الدليل نحو مدينة الشرق كنتُ أسأل بعض مَن أجدهم في طريقي عن المسافة أو المُدّة الزمنية المتبقية لوصولي إلى مدينة الشرق فكان البعض يجيب بالنفي عن عدم معرفته بمدينة الشرق،وحينئذٍ فقط أتدارك الأمر وأسأل فوراً عن (مدينة العبيد) فيجيبونني بكل سهولة ويسر وقد فهموا مقصدي.

وهذا ما أعاد إلى ذهني ما كنتُ قد قرأتُهُ في بعض كتب الرحّالة الذين زاروا اليمن قبل قيام الثورة السبتمبرية المباركة والذين مرّوا من هذه المدينة وهم في طريقهم إلى صنعاء قادمين من الحديدة حين كانت محطة هامة لقوافل المسافرين،وكانت لاتزال تُسمّى مدينة العبيد..وبدأتْ خواطر قراءاتي تلك تتوالى لتقارن بين ما كان عليه الوضع من بؤس وفقر وفاقة ومرض ومجاعة وتخلّف وجهل حسبَ وصفِ الرحّالة وبين ما أصبح عليه الوضع اليوم في ظل الجمهورية ودولة الوحدة،ولاشك أنّ الفرق شاسع،وشاسعٌ جداً.

مناظر بديعة

■ مَن يقصد مدينة الشرق من جهتها الشرقية لا بد أنْ يُعرّج إليها من مدينة معبر وسط سهل قاع جهران الشهير بمحافظة ذمار،ومنها ينطلق غرباً باتجاه مدينة ضوران آنس ونقيل بني سلامة حتى يصل إلى بدايات وادي رماع من جهة الشرق الذي تربض على إحدى تلاله مدينة الشرق الباسمة.

ومَن يأتي من جهة محافظة إب فإنّ مدينة الدليل أسفل نقيل سمارَة هي منطلقه الذي سيبدأ منه نحو مديرية القفر ثم عتمة وصولاً إلى مدينة الشرق التي سيكحّل عينيه برؤية مناظر بديعة في طريقه إليها،خاصة في عتمة وعلى ضفافِ وادي رماع وفي أصقاع مديرية القفر ذات الحمّامات الكبريتية المتعدّدة.

أمّا إنْ قصدها المرءُ من جهة الحديدة وسهل تهامة فلاشك أنّ مدينة باجل التي تترتبط بها بطريق إسفلتي ستكون هي منطلقه الذي يبدأ منه..فيما أبناء ريمة ووصاب وعتمة–وهم كُثرٌ– بحكم المجبرين على المرور بها في معظم أسفارهم.

في مدينة الشرق أو مدينة العبيد كما يحلو لكبار السن تسميتها حسب ما درجوا عليه يستذكر المرء قصص رحّالة كُثر مرّوا من هذه المدينة،وعشرات الآلاف من العبيدِ الذين كانوا يجلبون إليها في طريقهم للبيع في المرتفعات أو نحو سهل تهامة،وفي الغالب كان اتجاههم نحو الهضبة الوسطى قادمين من ساحل تهامة بعد استجلابهم من منطقة القرن الأفريقي وبعض دول أفريقيا الوسطى والجنوبية التي كانت على تواصل كبير بأبناء شبه الجزيرة العربية واليمنيين بالذات.

خدمات منعدمة

■ هذه المدينة التي لا تزال تُسجّل حضوراً قوياً في طرق التجارة والتسوّق وعبور المسافرين وأفواج السيّاح ينقصها الكثير من الخدمات التي ترقى بها إلى مصاف المُدن المشهورة مثلها والأكثر قصداً وزيارةً من قبل المسافرين والمتسوقين والسيّاح. وعلى رأس تلك الخدمات التي تفتقر إليها مدينة الشرق انعدام عُمّال النظافة،حيثُ تُرى القمامة مُكدّسة في كل شارع وزقاق بشكل يوحي على عبث وتجاهل من قبل السّلطة المحلية في مديرية جبل الشرق،وكأنّ مسألة النظافة غير واردة في قاموسهم على الإطلاق.

وثاني تلك الأشياء التي يلمسها مَن يزور مدينة الشرق هي انعدام المرافق السياحية التي تستقطب السياح وتدفعهم للبقاء فيها أو حتى لصرف ريال أو دولار واحد،وفي مقدمتها بالطبع الفنادق والمطاعم السّياحية التي لايوجد ولا واحد منها رغم أهميّة موقع هذه المدينة المنسية من الخدمات الحاضرة بقوّة في وجدان وقلوب كل أبناء المناطق الوسطى والغربية سالفة الذكر الذين يقطعونها ذهاباً وإياباً في أسفارِهم المتعدّدة.

هل ما زالت ضمن قائمة التراث العالمي؟!

زبيد.. مدينة العلم ومنبع الحضارة والتاريخ..

الجامع الكبير وقلعتها الشهيرة وسوقها القديم أبرز معالمها..

كم كانت رائعة تلك الرحلة التي جمعتنا بإحدى أهم وأقدم المدن اليمنية التي شهدت الكثير من التحولات التاريخية في الحقب الزمنية السالفة كان لها بالغ الأثر في تشكيل ملامح حضارية عريقة لا زالت تزخر بها المدينة حتى وقتنا الحاضر، وهي ذاتها الملامح التي حذت بالمهتمين بالمجال الحضاري الإنساني حول العالم أفراداً ومنظمات النظر إلى هذه المدينة كتراث إنساني عظيم ينبغي الحفاظ عليه ليستمر ويبقى إحدى أهم الشواهد التاريخية للإنسان اليمني قديماً وحاضراً ومثار فخر وإعجاب لدى الكثير من شعوب العالم،

استطلاع/ عبدالباسط النوعة

ولهذا فقد تم إدراج مدينة زبيد التاريخية ضمن قائمة التراث العالمي الذي تشرف عليه وترعاه منظمة اليونسكو إحدى أهم وأبرز المنظمات التابعة للأمم المتحدة، وشملتها هذه المنظمة وشددت على ضرورة وضع كافة التدابير واستخدام كافة الأساليب التي من شأنها الحفاظ على هذه المدينة وطابعها التقليدي والتراثي لتستفيد منها البشرية في معرفة الكثير من خبايا ومعلومات العصور السابقة فكل مكون من مكونات هذه المدينة لاشك أنه يحكي تفاصيل بعض أوجه الحياة القديمة ويعطي تاريخاً لمن يريد البحث فيه والدراسة، وقد مضت سنوات كثيرة منذ أن تم إعلان المدينة ضمن قائمة التراث العالمي ولكن مضت سنوات عديدة أيضاً منذ أن تم إعلان هذه المدينة ضمن قائمة التراث العالمي المهددة بالخطر، وبالتالي دعت هذه المنظمة إلى سرعة إنقاذ هذه المدينة وطابعها القديم ووضعت مهلة زمنية لذلك ما لم فسوف يتم حذف هذه المدينة من قائمة التراث العالمي وبشكل نهائي لأنها أصبحت وبفعل ممارسات بعض الأهالي وتواطؤ الجهات الحفاظية الرسمية معهم غير جديرة بهذا الموقع لأن الأشياء والمقومات التي تم الأخذ بها عند تصنيف هذه المدينة وإدراجها ضمن القائمة أخذت تضمحّل تدريجياً، وبالتالي لم تعد تلك المقومات موجودة، ومنذ سنوات وحملة إنقاذ المدينة التي تقودها الدولة تعمل في المدينة وتم إنشاء مجلس أعلى للحفاظ على المدينة بمشاركة جهات حكومية عديدة، ذات علاقة مباشرة بالحفاظ وتم تحديد أولويات ومهام كل جهة وضرورة تنفيذ كل جهة بالالتزامات التي حددتها الاجتماعات المتعددة للمجلس الأعلى، ولكن لاحظ الجميع أن العمل يمشي بتباطؤ شديد، وبالتالي انقضت المهلة التي حددتها اليونسكو وما تحقق على أرض الواقع لا يرتقي إلى المطلوب أبداً، الأمر الذي حذا بالمنظمة إلى إعطاء مهلة أخرى وذلك لحرص المنظمة على إبقاء مدينة مثل زبيد ضمن القائمة، فالمدينة تستحق أن تبقّى ضمن القائمة نظراً لما تمثله من أهمية حضارية تدرك منظمة اليونسكو مدى أهميته، وسنحاول معرفة المزيد حول هذا الموضوع في أعداد لاحقة حيث سنعمل على كشف إلى أين وصلت الإجراءات الحفاظية وكم بلغت نسبة الإنجاز؟! وكيف تعاملت منظمة اليونسكو مع هذه المدينة؟؟ وهل نفّذت كافة الجهات التزاماتها تجاه المدينة أم لا؟؟ أسئلة سنعرف مناقشتها من خلال الالتقاء بعدد من المسئولين والمهتمين كما سنعرف من خلالهم أيضاً على مدى تأثير الأزمة الراهنة على سير الأعمال الحفاظية بمعنى: هل توقفت أم أنها لا زالت متواصلة؟؟

جولة خاطفة

كان الوقت الذي وصلت فيه إلى المدينة غير مناسب فقد كانت الشمس في أوج نشاطها ظهراً وفي شهر يغلب فيه الحر على المدينة وسائر مناطق محافظة الحديدة الساحلية الجميلة، لكن هذا الطقس لم يمنعنا من القيام بجولة خاطفة في بعض شوارع وأزقة المدينة وزيارة بعض المعالم التاريخية لهذه المدينة لعل أبرزها وأهمها الجامع الكبير في المدينة، ذلك الجامع الرائع ذو المساحة الواسعة والذي كان يحظى بمكانة عظيمة ليس في نفوس اليمنيين فحسب، بل وحتى في نفوس المسلمين بشكل عام فقد تخرّج من هذا الجامع الذي كان يقام فيه حلقات للعلم والتعلم الكثير من العلماء والفقهاء من زبيد وخارجها ولا زالت بعض الحلقات تقام حتى اليوم لكن ليست بمثل ذلك الزخم الذي كانت عليه في السنوات الماضية وكان الطلاب القادمون من خارج مدينة زبيد يسكنون في المسكن المرافق للجامع، ولهذا ارتبطت مدينة زبيد بالحضارة الإسلامية القديمة التي عملت على ازدهار المدينة وتقدمها وبعدها ارتبطت المدينة بالعلم وأصبحت تُعرف بمدينة العلم والعلماء، وساهم أبناؤها على مدى التاريخ الإسلامي في خدمة الدين وإعلاء رايته، ولاشك أن الجميع يعرف الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري الذي تشير الكثير من المصادر التاريخية إلى أنه يعود إلى هذه المدينة وهذا يفسر سر تسمية أحد أهم وأقدم المساجد في زبيد باسم هذا الصحابي الجليل.

مشروع ترميم السوق القديم

بعد زيارتنا للمسجدين القديمين توجهنا مباشرة إلى السوق القديم الذي يضم عدداً كبيراً من الدكاكين التي تكفلت وزارة الأوقاف في أحد اجتماعات لجنة الحفاظ العليا بترميم) ٥٣ (دكاناً منها على اعتبار أن معظم دكاكين السوق إن لم يكن كلها وقف فعلاً بدأ العمل، ولكن لا نعلم هل تم الانتهاء منه أم أنه متوقف أم مستمر؟ ولكن السوق يمثل جانباً جمالياً للمدينة ويختلف عن الأسواق والمدن التاريخية الأخرى بتقاربه وصغر مساحته ولا يسمح للمطر أن يلامس من هم فيه لأن سطحه مسقوف بشكل شبه كامل ولا زال ذلك السوق يمارس نشاطه، ولكن لم يعد السوق الوحيد في المدينة فهناك أسواق عدة استحدثت مؤخراً.

وتظل قلعة زبيد التاريخية المعَلم التاريخي الأبرز للمدينة وهي تحت إشراف الهيئة العامة للآثار ويقال أنها تحوي في إحدى ملاحقها متحفاً صغيراً يعرض فيه بعض الاكتشافات التي تمت واستخرجت من تلك القلعة، فلم نتمكّن من التحقق أكثر والدخول إلى هذه القلعة نظراً لشدة الحرارة وقصر مدة الزيارة.

استحداثات وتشويهات

ولكن ما يلاحظه الزائر بوضوح هي تلك الاستحداثات الاسمنتية التي تم ادخالها على بعض المباني بما فيها الجامع الكبير والتي بلا شك تؤثر بشكل سلبي على الطابع التقليدي للمعمار الزبيدي القائم أساساً على الطين «الياجور» إلا أن بعض الأهالي يعللون أسباب استخدامهم للاسمنت والأحجار استحداث البناء، نظراً لعدم توفّر مادة الياجور وبالتالي فإن الحصول عليها يحتاج منهم إلى المزيد من المال وهو ما لا يستطيعون تحمّله، ولهذا بادرت وزارة الثقافة وخصصت مبلغ«٣٠٠ » ألف ريال شهرياً خصص هذا المبلغ لدعم مادة الياجور وضمان أن تكون متاحة للأهالي، ولا نعلم هل ساهم هذا القرار في صرف أنظار الناس عن الاسمنت وإتجاههم إلى الياجور..!